

## طبيعة المنهج في العلوم الاجتماعية عند ماكس فيبر

إبراهيم كراش<sup>1</sup>، هشام قاضي<sup>2</sup>

1- جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

b.kerrache@yahoo.fr

2- جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة، مخبر التربية

والابستيمولوجيا

h.gadi@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 2019/10/13؛ تاريخ القبول: 2023/04/25

### The nature of the Method in social science at Max Weber

A. kerrache Ibrahim, B. Gadi Hicham

**Abstract:** The purpose of this article is to identify an epistemological problem in the sciences social it is a problem of method used in the study of phenomena social. The tendency of positivism emphasizes the use of the method interpretive, while Daltay emphasizes the method of understanding. Max Weber present a new third vision The first seeks to reconcile the two methods of understanding and interpretation.

**Keywords:** epistemological; sciences social; positivism; method understanding; method interpretive.

**ملخص:** يهدف هذا المقال إلى الوقوف على مشكلة ابستيمولوجية في العلوم الاجتماعية يتعلق الأمر بمشكلة المنهج المستخدم في دراسة الظواهر الاجتماعية، فالنزعة الوضعية تصر على استخدام المنهج التفسيري، في حين يؤكد دلتاي على منهج الفهم، وبين هذا وذاك يقدم ماكس فيبر رؤية ثالثة جديدة يسعى من خلالها إلى التوفيق بين منهجي الفهم والتفسير .

## الكلمات المفتاحية: الابيستيمولوجيا؛ العلوم الاجتماعية؛ الوضعية؛ منهج التفسير؛ منهج الفهم. مقدمة:

تعرف العلوم الاجتماعية بأنها ذلك التخصص العلمي الذي يدرس الإنسان في صورته الجماعية، فالعلوم الاجتماعية مجموعة العلوم المهمة بالجانب الاجتماعي للإنسان. كما تشير هذه العلوم إلى التخصصات التي تهتم بالمجتمع وعلاقات الأفراد داخل المجتمع : علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا... الخ. واقتربت العلوم الاجتماعية منذ بداية ظهورها بمشكلات ابيستيمولوجية وميتودولوجية، وتساؤلات عويصة حول مشروعيتها العلمية، والاعتراف بها ضمن منظومة العلوم التجريبية. سواء على مستوى المنهج أو فيما يتعلق بالتأسيس النظري. وترتبط هذه المشاكل المنهجية والنظرية بطبيعة موضوع العلوم الاجتماعية من جهة، وبالمؤثرات الفلسفية والإيديولوجية التي رافقت تلك العلوم في نشأتها تطورها ومسيرتها التاريخية. ومن بين أهم المشكلات الابيستيمولوجية مشكلة المنهج، وقد ظهرت هذه المشكلة بالتحديد مع بدايات القرن التاسع عشر حينما انفصلت العلوم الاجتماعية عن الفلسفة، وحاولت استخدام مناهج العلوم الطبيعية، لكن وبالنظر إلى طبيعة موضوعها المختلف تماما عن موضوع العلوم الطبيعية، فقد واجهت عوائق ابستيمولوجية حالت دون تحقيق نتائج موضوعية مثلما هو الحال في العلوم الطبيعية، وهذا ما أدى إلى ظهور مناهج للعلوم الاجتماعية مغايرة للمنهج التجريبي ، ومن ثمة طُرحت مشكلة تعدد المناهج؛ فهناك منهج التفسير السببي الذي تبنته النزعة الوضعية عند كونت، ومنهج الفهم الذي تبنته النزعة الروحانية عند دلتاي. وبين هذا وذاك حاول ماكس فيبر شق طريق ثالث يحاول من خلاله حل جدلية التفسير والفهم في العلوم الاجتماعية. ونظرا لذلك تهدف هذه المقالة إلى محاولة الإجابة عن نص الأسئلة التالية: ما هو السبيل إلى إزالة التعارض المنهجي في العلوم الاجتماعية عند كل من ماكس فيبر ؟ أو كيف يمكن تجاوز جدلية الفهم والتفسير في العلوم الاجتماعية ؟

## العلوم الاجتماعية بين منهج التفسير ومنهج الفهم: - منهج التفسير في العلوم الاجتماعية:

يشير مصطلح التفسير (Explication) في مجال العلوم الاجتماعية إلى دراسة الظواهر على أساس ارتباطها السببي. بمعنى دراسة المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة ضمن رؤية امبيريقية وعلمية، بغية الكشف عن القوانين والنظريات. ومن ثم يعد التفسير من أهم مبادئ الفكر العلمي الحديث. لأن التفسير نسق صوري يحاول أن يختزل الظواهر في لغة رمزية صارمة و" قوام النسق العلي (السببي) تصور علاقة زمنية ثابتة بين الظواهر، بحيث يؤدي وجود ظاهرة ما، بالضرورة، إلى وجود الظاهرة الثانية. كما تشير العلاقة العلية بين ظاهرتين إلى ارتباط ضروري بينهما، بحيث تسبق واحدة منها زمنياً الأخرى. ولهذا فإن للبعد الزمني أهمية في تحديد العلاقة العلية. ولقد عرف النسق العلي تحدياً كبيراً مع ثورة الفيزياء الكبرى، وما رافقها من انتقادات وجهت إلى العلاقة العلية التي تسير في اتجاه واحد من العلة إلى المعلول. وبالنتيجة فإن الانتقادات انتقلت إلى النسق العلي، وقد حمل هذا الانتقال معه تصويبا للعلاقة العلية، بحيث لم يعد الأمر يقف عند مجرد إثبات قيام علاقة عليّة بين الظاهرة ونتائجها، بل لابد من إكمال الطريق لإثبات قيام علاقة عليّة بين النتائج، وما تحدثه النتائج من تأثير في الظاهرة (عبد الله إبراهيم، 2010: 144).

وضع أوجيست كونت (انظر التعليق رقم1) (1857-1798) Auguste Comte الأسس المنهجية للعلم الجديد والإطار المنهجي للسوسيولوجيا التي تقوم أساساً على فكرة مفادها أن المفاهيم العلمية مشتقة من الواقع، وأن الظواهر خاضعة لقوانين عامة. والمعرفة الوضعية ترتد في النهاية إلى إجراءات امبيريقية استقرائية عن طريق عدد من الخطوات هي (الملاحظة، التجربة، المقارنة، المنهج التاريخي) (جان ديفينيو، 2011، ص21). وقد دعا كونت إلى استخدام المنهج الوضعي في الدراسات الاجتماعية. ولفهم الظواهر الاجتماعية على الطريقة الوضعية لابد من توافر شرطين:

أ) أن تكون الظواهر تسير وفقاً لقوانين عامة، وليس نتيجة صدفة، وقد رأى كونت أن هذا الشرط متوافر دائماً في الظواهر الاجتماعية

لأنها جزء من الظواهر الطبيعية، وجميع ظواهر الطبيعة تسير وفق قوانين لا وفق للصدفة والعشوائية  
ب) إدراك الناس لهذه القوانين لن يكون إلا بقيام الباحثين بالكشف عنها وتعريف الناس بها. فالظواهر الاجتماعية خاضعة لقوانين ثابتة لا تتغير، ومهمتنا هي السعي نحو كشف هذه القوانين بدقة بغية اختصارها في أقل عدد ممكن من الرموز الرياضية، على غرار علوم الطبيعة (محمد علي محمد، 1983: 45).

إلا أن كونت أدرك أنّ القوانين الاجتماعية تختلف عن قوانين العلوم الطبيعية من حيث الصرامة والثبات، وذهب إلى أنّه كلما زادت الظواهر تعقيداً تعددت واختلقت المناهج من علم إلى آخر، وهنا يصبح لعلم الاجتماع أساليبه الخاصة به، بالإضافة إلى الأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية، وأهم ما يميز المنهج العلمي عند كونت هو تبعية الفرضية للملاحظة وتبعية العقل للوقائع. والحق أن كونت يريد التأكيد على أنّه كلما تعقدت ظواهر أي علم كانت الأساليب المستخدمة فيه أكثر تعقيدا وهذا لا يتعارض مع وحدة المنهج العلمي، وما يهم هو أنّ كونت ركز على ضرورة ضبط الظواهر بقوانين. وهذا تأكيد لوحدة المنهج العلمي؛ أي أن المنهج المستخدم في معالجة الظواهر الطبيعية هو نفسه المستخدم في معالجة الظواهر الاجتماعية وإن اختلفت هذه الظواهر في تعقدها، وفي عدد الأساليب المستخدمة في دراستها إلا أنها جميعاً خاضعة لمنهج واحد، على خطى أوجست كونت سار أنصار النزعة الوضعية في محاولة التنظير العلمي للظواهر الاجتماعية؛ فكل من سبنسر (1820-1903) Herbert Spencer ودوركايم (1858 / 1917) Émile Durkheim عملا على توطيد منهج التفسير في العلوم الاجتماعية كمنهج وحيد للوصول إلى الموضوعية. ففي سياق المنهج التفسيري تبنى هربرت سبنسر (1820-1903) Herbert Spencer رؤية علمية في دراسة الظواهر الاجتماعية مماثلة لنظرية التطور، كما يدل على ذلك كتابه (التطور: قانونه وأسبابه) الذي نشره سنة 1857م، وقد كشف عن التطور بوصفه انتقال متدرج من البسيط نحو المركب، ومن اللاتساق إلى الاتساق، وبالتالي تتجه ظاهرة التطور نحو الاختلاف والتنظيم المتدرج. وقد دافع سبنسر عن

التطورية الداروينية، وسبق شارل داروين إلى مفهومي التطور والبقاء للأقوى والأصلح. وقد أسس بذلك السوسولوجيا التطورية أو الداروينية أو السوسولوجيا العضوية الوظيفية. ولذلك شبه المجتمع بالكائن العضوي، كل عضو يقوم بوظيفة معينة في إطار النسق الكلي. وتأثر في هذا التشبيه بمبادئ الطبيعة، واستعمل منهج التفسير للكشف عن قوانين التطور لدى المجتمعات تحليلا وتصنيفا ومقارنة. واستعان سبنسر في هذا الكشف بالدراسات التاريخية لاستقراء وتتبع تطور المجتمعات، ووجد أن المجتمعات البدائية كانت تتميز بالبساطة والسذاجة في حين، تتميز المجتمعات الحضارية بالتعقيد والتركيب والاختلاف. وكان هدف سبنسر هو فهم المجتمع على نحو أفضل، وتفسير تطور المجتمع وتغيره من حالة إلى أخرى، اعتمادا على المنهج البيولوجي التطوري الذي بلوره تشارلز داروين .

وعليه، لقد تبنى سبنسر منهجية داروين التطورية والعضوية في تفسير التغيرات التي تحدث في المجتمع، وتفسير الكيفية التي تتغير بها المجتمعات، وتتطور عبر مرور الزمن. ومن ثم أسس السوسولوجيا الداروينية. وقد طبق منهجية التطور في كتابه (مبادئ علم الاجتماع)، قصد تفسير انتقال المجتمع من بنيته البسيطة إلى بنيته المركبة. وفي هذا، يقول سبنسر: "لقد رأينا أن التطور الاجتماعي يبدأ ببعض الطوائف الصغيرة بسيطة التركيب، وأنه يزداد بسبب اتحاد بعض هذه الطوائف في طوائف أخرى أكبر منها، وأن هذه الطوائف الأخيرة تتحد فيما بينها بعد بلوغها درجة كافية من التركيز لكي تكون طوائف أخرى أكبر منها. وحينئذ فمن الواجب أن نبدأ في تصنيفنا للمجتمعات بالنوع الأول منها، أي: بأبسط المجتمعات تركيبا" (محمود عوده، 1982:ص70) وأخيرا، يعد هربرت سبنسر من رواد علم الاجتماع الذين أخذوا بمنهج التفسير التطوري في دراسة الظواهر المجتمعية، بمقارنة المجتمعات البدائية القديمة بالمجتمعات الحديثة على مستوى المكونات والسمات.

في هذا السياق تبنى أيضا إميل دوركايم (1858 / 1917) Émile Durkheim منهج التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية، بالتشديد على العلاقة السببية بين الظواهر المرصودة. وفي هذا يقول دوركايم:

"فكل ما يطالب به هذا العلم هو أن يعترف الناس بأنّ قانون السببية يصدق أيضا على الظواهر الاجتماعية. ولكن علم الاجتماع لا يقرر هذا القانون على أنه ضرورة منطقية؛ بل يقرره فقط على أنه فرض تجريبي أدى إليه استقراء مشروع. فإنه لما ثبت صدق قانون السببية في نواحي الطبيعة الأخرى، وامتد سلطانه شيئا فشيئا من العالم الطبيعي الكيميائي إلى العالم البيولوجي، ومن هذا العالم الأخير إلى العالم النفسي حق لنا التسليم بأنه يصدق أيضا على العالم الاجتماعي. ويمكننا من الآن أن نضيف الحقيقة الآتية وهي: أن البحوث التي تقوم على أساس هذا المبدأ تميل بنا إلى تأكيد صحته... إن طريقتنا طريقة موضوعية. وذلك لأنها تقوم بأسرها على أساس الفكرة القائلة بأن الظواهر الاجتماعية أشياء، ويجب أن تعالج على أنها أشياء، ولاشك في أن مذهب كل من سبنسر وأوجست كونت يقوم على أساس هذه الفكرة نفسها. وإن وجدت لديهما على صورة مختلفة بعض الشيء" (إميل دوركايم ، 1988 ص: 276-279).

إذاً يقوم المنهج التفسيري في علم الاجتماع على التخلص من الذاتية، ورفض النزعة التأملية في البحث، واستعمال التجريب، وتكرار الاختبارات، والاحتكام إلى الحتمية الاجتماعية التي تستند على الحتمية الطبيعية، والعمومية، والضغط الخارجي، والعقاب المجتمعي، والابتعاد عن التصورات المسبقة، والتخلص من الأفكار الشائعة بنقدها وغربلتها علميا وموضوعيا. وفي هذا، يقول دوركايم: "إن القاعدة التي ننطلق منها لا تفترض أي تصور ميتافيزيقي، ولا تتضمن أي نظر تأملي في كنه الموجودات. إن ما تطلبه هو أن يضع عالم الاجتماع نفسه في وضع فكري شبيه بالوضع الذي يكون عليه الفيزيائيون والكيميائيون والفيزيولوجيون، حينما ينخرطون في استكشاف منطقة مجهولة عن ميدانهم العلمي. فعلى عالم الاجتماع بدوره وهو يحاول النفاذ إلى المجتمع أن يعي بأنه ينفذ إلى عالم مجهول. وعليه، أن يشعر بأنه، أيضا، إزاء وقائع غير منتظرة مثلما كائن عليه وقائع الحياة، قبل أن تتشكل البيولوجيا كعلم." (E. Durkheim, 1988 :p 79)

في هذا الإطار لابد من الإشارة إلى فرويد الذي كان يصرح دائما ويؤكد بأن التحليل النفسي هو سيكولوجيا تأخذ في اعتبارها اللاشعور وليس الشعور فقط. وفي نفس السياق غالبا ما ينعت هذا المجال المعرفي بسيكولوجيا اللاشعور. وهو أيضا مجال له إطار اشتغاله الخاص، كما أن له مدها وحدوده المرتبطة بالمستويات النظرية والتطبيقية التي ينظم وفقها. وأكد فرويد نظريته التي يمكنها تفسير أغلب الأفعال الإنسانية، و أنها قادرة على تفسير ظواهر لم يكن قد أعطي بعد أي تفسير لها، أو أنها فقط تفسيرات ذات طبيعة عضوية محضة (Freud S, 1974 :p11) صفة عامة، إن نشأة التحليل النفسي والسيكولوجيا العلمية ذات المنحى التجريبي تعود تقريبا إلى نفس الفترة، إلا أنهما سيتبعان طريقا مغايرا في تناولهما لسلوك الإنسان، من حيث الخصائص والمميزات التي سيقوم عليها منطقتها، وهو الذي ينجم عن نظريتهما للإنسان وما تتضمنانه من اختلاف جذري. ( Nuttin J, 1980 : p 9

ثم إن منطق الاشتغال بهذا المعنى هو الذي يحكم الإطار المنهجي والإجرائي لدى الباحث والممارس، وذلك فيما يتعلق بالتعاطي مع الظاهرة النفسية. على اعتبار أن منطق المقاربة التجريبية هو منطق الملاحظة أساسا، من حيث ما ينطوي عليه من تركيبة من الملاحظات والقياس والمقارنة والتصنيف.

#### -منهج الفهم في العلوم الاجتماعية:

"الفهم هو استيعاب بعض المحتويات العقلية التي يجسدها تعبير معين" (ه.ب.ريكمان، 1979:ص150) تلك هي المنهجية التي ندرك من خلالها موضوع الدراسات الاجتماعية، والخاصية المميزة للفهم هي البداهة والوضوح، وإدراك التجربة المعاشة إدراكا مباشرا، دون إخضاعها للتفسير السببي، ويقصد بالفهم أيضا "الإحاطة بدلالة النشاط الإنساني ومعناه والهدف منه. فنشاطات الإنسان تملك معنى، أي تملك هدفا، وفي علوم الإنسان، ينبغي فهم المعنى (sens) والدلالة (signification) والهدف". (عبد الله إبراهيم، دت: ص:71)

يتضح إذن بأن الفهم هو تحديد معنى الفعل الإنساني في الظواهر الاجتماعية، وتوضيح معانيه والكشف عن غاياته ومقاصده

وأغراضه أي: تفكيك دلالات الرموز والأفعال داخل بنية النشاط الإنساني. "إنّ موضوع التفهم يكون على قدر من الوضوح، بحيث يكون كافياً ومكتفياً بذاته. فمن المستحيل سيكولوجياً الشك في البداية، بل يجب التسليم بها... ففعل الفهم فعل معرفي مباشر، وعلينا أن نقول عن الفهم ما قاله باسكال "Blaise Pascal" ( 1623 / 1662) عن روح الدقة: فهو رؤية ثاقبة، وإدراك مباشر. إن الفهم هو إدراك لدلالة المعاش، التي تعطى لنا بمثابة تجربة بديهية... والفهم بالمعنى الذي نشير إليه هنا، هو دائماً فهم لوضعية وجودية وجدانية، فنحن نستطيع تفهم وضعية ما أو فهم تطورها وبخلاف العلاقات القابلة للفهم، فإن العلاقات التفسيرية هي علاقات... تتأسس على الاعتقاد بصحة مجموعة من الطرق والإجراءات الموضوعية. فالفهم هو بداية مباشرة في حين، إن التفسير هو تبرير أو تعليل حدوث ظاهرة ما بسبب ظاهرة أخرى"

(Jules Monnrot , p d, pp:38-42).

ويعود منهج الفهم إلى فلهم دلتاي Wilhelm Dilthey (1833/1911) الذي كتب مقدمة حول ما يصطلح عليه بعلوم الروح عالج من خلالها الاختلاف والتمايز بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية؛ فالعلوم الاجتماعية موضوعها كائن حر الإرادة وعلى حد قول دلتاي: "تقف القوانين السببية عنده مستأنفة، وتحدد نتائجهم بيقين الحتمية مضروباً في لا يقين الحرية" (عادل مصطفى، 2007: ص114) هذا الاختلاف بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية دفع دلتاي إلى التأكيد على ضرورة الاختلاف المنهجي بينهما، فالأولى تحتاج إلى فهم والثانية تحتاج إلى تفسير. ويعرف ديلتاي الفهم بكونه تجربة جوانية داخلية، تعتمد على العلامات الحسية التي تعكس ما هو مضمّر في الداخل حيث يقول: "نطلق مصطلح الفهم على الصيرورة التي ندرك من خلالها ما هو جواني (داخلي)، اعتماداً على العلامات الموجودة في الخارج بواسطة حواسنا. فحين أقول، مثلاً، لم أفهم كيف تصرفت بهذه الطريقة، أو حين أقول أيضاً: إنني لم أعد أفهم ذاتي، فإنني أقصد بذلك، في الحالة الأولى، أن مظهرها من مظاهر ذاتي في الواقع الحسي، أضحي يبدو لي كما لو أنه يصدر عن قوة غريبة عن



ذاتي، وأني عاجز عن فهمه كما هو، وفي الحالة الثانية أعني بذلك أنني دخلت في حالة غريبة، لا عهد لي بها. وترتبا على ذلك، فنحن نطلق اسم الفهم على الصيرورة التي نعرف بواسطتها ما هو نفسي باطني اعتمادا على علامات حسية تعتبر تجليا له". (Dilthey , 1947:pp320-322)

وبما أن الفعل الإنساني فعل إرادي واع، لا يتكرر، وغير مطرد، فيصعب دراسته دراسة علمية تفسيرية. ومن الأفضل، الاكتفاء بفهم الفعل الإنساني وتأويله، على حد قول دلتاي: "إننا نفهم الإنسان، ونفسر الطبيعية". (Dilthey Whelheim, 1992 :P 37)

يتعلق الأمر بالنسبة لـ دلتاي بتأسيس علوم الروح تأسيسا فلسفيا ومعرفيا، ومن ثمة التصدي للمسعى الوضعي الرامي إلى تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الاجتماعية، لأن أنصار النزعة الوضعية يرفضون القول بوجود التمايز بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية.

وقد كان تصدي دلتاي للوضعيين بالتأكيد على فكرة أساسية مفادها أنّ موضوع ومادة العلوم الطبيعية مشتقة من الطبيعة، أما موضوع ومادة العلوم الاجتماعية فهي الظواهر الإنسانية، ولهذا يستحيل تطبيق نفس المنهج على موضوعين مختلفين من حيث الطبيعة، ومن هنا يتبين أنّ دلتاي حاول تأسيس ابستمولوجيا للعلوم الاجتماعية تؤكد على الفهم كمنهج وحيد لهذه العلوم (Dilthey Whelheim, 1992 :p09).

فالعلوم الاجتماعية هي فكر كامن في جوانية الفرد، والحقيقة التي يسعى إليها الباحث في هذه العلوم لا تقع خارج الذات وإنما بداخلها ومحايثة لنشاطها المعرفي. من هذا المنظور تصبح العلوم الاجتماعية المرأة التي يرى منها الباحث ذاتيته ويكتشف من خلالها حقيقته فالعلوم الاجتماعية " علاقة بمعرفة الذات،... تربط الباحث بذاته عبر عنصر التراث كفهم جذري للذات وتناهيها، حقيقة التراث المدروس ( الحدث التاريخي، الأثر الفني أو الأدبي...) هي في الواقع حقيقة بالنسبة إلى هذا للباحث الدارس، حقيقة كما يتمثلها وينتجها" (غدامير، 2006:ص 17).

وعليه، إذا كان التفسير يتجه نحو الكشف عن العلاقات العلية والسببية بين الظواهر موضوع الدراسة ضمن المنظور الوضعي، فإن الفهم يتجه نحو إدراك الذات في علاقتها بالوجود. أي: أن الفهم معرفة واضحة وبديئية ومباشرة، تساعدنا على وعي واستيعاب تجارب الذات بشكل واضح. فضلا عن ذلك أنّ الفهم فعل ذاتي واعي باطني، مرتبط بالذات المدركة أو الذات الفاهمة التي تسعى جاهدة لإدراك العالم الخارجي مباشرة. والفهم مرتبط بسؤال (لماذا؟). أما التفسير فيرتبط بسؤال (كيف)، ومنه فالذات حاضرة في عملية الفهم، وغائبة أو حيادية في عملية التفسير وهذا ما جعل التساؤل يتمحور حول إمكانية قيام علوم اجتماعية موضوعية؟ بالنسبة لـ دلتاي يجب عن السؤال بالإيجاب؛ إذ توجد إمكانية لقيام علوم اجتماعية إنسانية موضوعية، لأن الباطن الذاتي يتجلى دائما في العلامات الخارجية الخاضعة للإدراك الحسي، وللـفهم العقلي، إذ أنّ " الموضوعية ممكنة للمعرفة الخاصة بعلوم الإنسان بشرط تزامن محتمل للمفسر مع موضوعه مقابل ( ما هو بعيد مكانيا وغريب لغويا)، يجب على هذه الموضوعية أن تنتقل نفسها إلى (موقع المؤلف بعيد عن زمن ومحيط المؤلف)، ويحقق التزامن في علوم الإنسان الوظيفة ذاتها كما تحقق علوم الطبيعة قابلية إعادة التجربة، هنا يتحقق ضمان قابلية تبادل ذات المعرفة" (يورغن هابرماس، 2001: صص 217-218).

خلاصة القول أنّ مهمة دلتاي التي حاول القيام بها هي جعل الفهم منهج العلوم الاجتماعية؛ فهم تكون له القدرة على استيعاب تعبيرات الحياة وتأويلها بشكل موضوعي يسمح للدراسات الخاصة بالظواهر الاجتماعية أن ترقى إلى مستوى العلمية.

**ماكس فيبر والجمع بين منهجي الفهم والتفسير في العلوم الاجتماعية:**

يهتم عالم الاجتماع ماكس فيبر Maximilian Carl Emil Weber (1864/1920) بالجانب المنهجي للعلوم الاجتماعية، حيث طور العديد من المفاهيم والآليات المتميزة والتي أصبحت من ركائز العلوم الاجتماعية الحديثة، ومن أجل الوصول إلى الدقة المعرفية التي يتطلبها كل بحث علمي، ذلك أنّ هدف العلم ليس هو

ترجمة الوقائع الاجتماعية في حد ذاتها، ولكن الهدف هو إعادة البناء بالاعتماد على منهجية محددة، من أجل التمكن من فهمه وتفسيره؛ فالفهمية هي لحظة مهمة في التغيير، فهي لا تهدف إلى فهم علاقات وسيرورات الأفراد بشكل إبداعي بسيط فحسب، ولكن يجعل هذه العلاقات مفهومة وواضحة داخل إطار معرفي وعقلاني. حاول ماكس فيبر من خلال آلياته المنهجية أن يجعل من العلوم الاجتماعية علوماً فهمية وتفسيرية تهتم بالفعل والفاعل الاجتماعي.

إن من يدرس العلوم الاجتماعية عند فيبر يستطيع أن يقف على تيارات عديدة تجمعت وانصهرت فأثمرت نسفاً فكرياً متكاملاً، ففقد أدخل فيبر العنصر السيكلولوجي، إذ يعتقد أن العلوم الاجتماعية لا بد أن تبحث عن تفسير سببي للفعل الإنساني قادر على معرفة غاياته ومقاصده، والتفسير سببي يحقق للعلوم الاجتماعية صفة <<العلم >> التي كافح من أجلها وأوجست كونت في العلم الوضعي، وإميل دوركايم، ولكن دراسة السلوك الإنساني يتعين عند فيبر أن تبرز بعداً آخر هو بعد الفهم الذي يقوم على التعاطف مع الآخرين، وسبر أغوارهم للتأكد من حقيقة هذا السلوك بدلاً من الاكتفاء بمظاهره الخارجية فقط، ومن هنا برزت نزعة جديدة تدعو إلى الاهتمام بدراسة الظواهر الاجتماعية من الداخل أيضاً، مثلما ندرسها من الخارج كما لو أنها أشياء. ولم يقتصر فيبر على هذا التصور الجديد لموضوع العالم، وإنما راح ينقب في التاريخ ليبحث عن دور الأفكار في تفسير العمليات التاريخية الكبرى، بالطبع لجأ فيبر إلى المنهج التاريخي المقارن فظهر واضحاً جلياً في بحثه عن علاقة البروتستانتية بال رأسمالية الحديثة. بالإضافة إلى ذلك كله كان فيبر رائداً في عدة ميادين هي: علم الاجتماع الديني، وعلم الاجتماع السياسي، وسوسيولوجيا التنظيم والإدارة. " فإسهامات ماكس فيبر في العلوم الاجتماعية تظهر من خلال جهده في التغلب على الصعوبات التي واجهها في التعارض القائم بين العلم الطبيعي والعلم الروحي". (صلاح مصطفى فوال، 1996:ص 317) هذا من جهة ومن جهة أخرى حتى ينشئ نسفاً سوسيولوجي يحتفظ بأكبر عدد ممكن من

العناصر القيمية التي ينطوي عليها كل من العلم الطبيعي كاتجاه، والعلم الروحي كاتجاه آخر (إسماعيل علي سعد ، 1999: ص246) . فهو يعتقد بأنه من الصعوبة تحديد أساس منهجي عام يخدم البحوث يمكن أن تعتمد عليها النظرية السيولوجية ولهذا كان أقرب الباحثين في تناول هذه القضية المتمثلة في المنهج المناسب لبحث العلوم الاجتماعية، وفي سعيه الدؤوب نحو فك اللبس والغموض عن أبرز المشكلات الأساسية في بحث قضية الموضوعية في العلوم الاجتماعية أو العلوم الثقافية.

فهو يحاول تطبيق المنهجية العلمية على العلوم الثقافية لأنّ هذه الأخيرة تهدف إلى فهم السلوك البشري المشبع بالقيم، والعلم كما نعرف هو نشاط عقلي يهدف إلى صياغة أحكام واقعية ذات صدق عام. هنا تبرز المشكلة المتمثلة في كيف للمرء أن يصيغ أحكام واقعية صادقة حول مسائل اجتماعية إنسانية مشبعة بالقيم ؟

للإجابة على هذه المشكلة يضع ماكس فيبر منهجه الذي يجمع فيه بين الفهم والتفسير فما هي خطوات هذا المنهج ؟

#### خطوات المنهج عند ماكس فيبر :

- **الفهم:** يرى ماكس فيبر أنّ العلوم التاريخية والاجتماعية تحمل مميزات لها نفس الإلهام العقلي الذي يجعلها تختلف عن العلوم الطبيعية بالمميزات التالية: "أنها فهمية تاريخية، ومحمولة على الثقافة. فمصطلح الفهم ترجمة من الألمانية *Verstehen*". (إسماعيل علي سعد ، 1999: ص246) . فالفهم ليس مرادفا للحدس العاطفي الغامض الذي تحدث عنه الفلاسفة قبل فيبر، بل هو حركة فكرية تحليلية وتفسيرية للتنبؤ بالسلوك. بعبارة أوضح ينبغي أن يشرح الظاهرة بمقترحات مؤكدة بالتجربة بمعرفة الإحساس وفهمه، فهو دراسة من الداخل لا من الخارج مثل الظواهر الطبيعية. "إذاً الفهم حركة تمر بها بواسطة التصورات أو العلاقات داخل السلوك الإنساني" (Raymond Aron, 1994 : p627).

فماكس فيبر استخدام مصطلح الفهم للتعبير عن المعرفة المرتبطة بالعلوم الاجتماعية، هذا لا يعني جعل العلوم الاجتماعية تتميز بخاصية تقوم على فهم النشاط الاجتماعي، وإنما جعلها فهم فكري

تحليلي وتفسيري لسلوك الإنسان. فالفهم هو المنهج الشرحي المميز للعلوم الاجتماعية، ونعني به أن يجعل الباحث نفسه يدرك ويعي ظروف الآخرين ليتوصل إلى فهم أفعالهم عن طريق الحدس وذلك بمناقشة التقلبات التي تطرق على التمسك بالموضوعية والحياد فيما يتصل بإطلاق الأحكام القيميّة في العلوم الاجتماعية (كاترين كوليو تياين، 1994: ص120).

وهذا ما يجعل البحث في ميدان العلوم الاجتماعية يأخذ قدرا كبيرا من العقلانية لتقييم نوعي للتفسير السبي المسند إلى طبيعة عرض المعرفة بالذات، "فالفهم والشرح ليس مظهرين متكاملين للمعرفة بل هما التعبير عن المسيرة المعرفية" (علي سالم، 1968: صص 87-88).

ويستند الفهم على ركيزتين أساسيتين هما: المثال، ونسق المعاني. فالمثال إجراء عملي ينظر إلى الظاهرة الاجتماعية نظرة كلية، باستخدام الإدراك المباشر. بخلاف، منهج التفسير الذي ينظر إلى الظواهر نظرة تجزئية في طابعها الذري، بتفتيتها إلى أجزاء وعناصر. كما أن المثال نموذج عقلي مجرد ومثالي، يستعمل لوصف الظواهر الواقعية المعطاة، بالتركيز على مكوناتها وسماتها وعناصرها، وإبراز مميزاتها المشتركة والمترابطة فيما بينها. كما يجسد المثال الواقع موضوع الدراسة، ويختزله في نموذج فكري واضح ومتسق ومنسجم. ومن ثم فغاية الفهم هو البحث عن مدلول العناصر المكونة للواقع الاجتماعي، واستكشاف دلالاتها الرمزية بتأويلها وإدراكها إدراكا مباشرا. ويعني هذا أنّ الفهم يدرك الظواهر الاجتماعية إدراكا سليما، ويعيها بطريقة مباشرة، ويدركها دون معالجات تجريبية أو تفسيرية أو إحصائية، ودون أي استدلال أو استنتاج مباشر. وهي تظهر للعقل ظهورا بديهيا، كما لو كانت يقينا لا يضيف إليه الاستدلال شيئا. (عبد الله إبراهيم، دت: صص 98-99)

أما في ما يخص الركيزة الثانية، فيمكن القول بأنّ الفعل الاجتماعي يتضمن نسقا رمزيا، يحتوي على دلالات ندركها بواسطة الفهم والتأويل، انطلاقا من خبرتنا وحضورنا الذاتي في هذا العالم. ومن ثم يكون الهدف الأساس هو الوصول إلى وحدة المعنى أو الفكرة التي

تتحكم في هذا الفعل، واستجلاء مختلف النوايا والمقاصد والأهداف التي كانت تتحكم في نشأة هذا الفعل أو السلوك المجتمعي. ويمكن القول أيضا بأن منهجية ماكس فيبر تختلف عن منهجية أنصار المذهب الوضعي؛ لأنّ المنهجية الفيبرية منهجية هيرمينوطيقية بامتياز تعتمد على الفهم والتأويل، والتركيز على الفاعل الفردي. في حين، تعتبر منهجية النزعة الوضعية بنائية، تركز على الفاعل الاجتماعي، وتعطي للعوامل المادية أهمية كبيرة. أما ماكس فيبر فيرد كل ما هو مادي إلى ما هو فكري ديني وفوقي، كما وضح ذلك جليا في كتابه (ماكس فيبر، 1990: ص59) حيث بين أن القيم البروتستانتية الكالفانية هي التي ساهمت في بروز الرأسمالية العقلانية. على خلاف ماركس Karl Marx (1818 / 1883)، الذي ركز على العوامل المادية والاقتصادية في ظهور هذه الرأسمالية (Catherine Colliot - Thélène, 1990: p5).

وإذا كان ماركس قد رفض الدين، فإنّ ماكس فيبر قد دافع عن فلسفة الأديان، وخاصة البروتستانتية، لأنها دعامة العقلانية والرأسمالية والحدثة الغربية. كون البروتستانتية تدعو إلى ابتغاء الكسب المثمر، وتنمية الرأسمال، وفق دوافع سيكولوجية ومبادئ أخلاقية، مثل: الحرص، عدم كثرة الإنفاق، والاستثمار، وعدم التبذير، وحب العمل، ولاسيما أنّ المذهب البروتستانتية في حلتها الجديدة التي ظهرت مع مارتن لوثر Martin Luther (1483/1546) يمجّد العمل باعتباره غاية للحياة وفريضة من الله. ولذلك، يجتهد البروتستانتية في العمل كي لا تلحقه لعنة الله. وكما تمتاز الأخلاق البروتستانتية بتمجيدها للعمل، تمتاز أيضا بدعوتها إلى التقشف والاستثمار والادخار. وتلك هي الأسس الرئيسية التي قامت عليها الرأسمالية الحديثة.

ومجمل القول: إن فيبر يرى أن المذهب البروتستانتية، ولاسيما مذهب كالفين (1509 / 1564) CalvinJean ، قد خلق ما يسمى "بأخلاق المهنة" المعتمدة على نزعة صوفية تجتهد في جمع النقود واستثمارها في المشروعات التجارية والصناعية، بروح مطمئنة،

تعتبر النجاح في الدنيا دليلا على رضا من الله ورضوان. (محمد عابد الجابري وآخرون، 1971م: ص346)  
إذا فالفهم عند فيبر يحقق هدفين: فهو من ناحية يمكننا من معرفة الأسباب والعلل التي تؤدي إلى حدوث الظاهرة الاجتماعية، ومن ناحية أخرى يمكننا من إدراك المعاني الذاتية التي تنطوي عليها الأفعال الإنسانية؛ بمعنى إمكانية ظهور الأحداث في مواقف متعددة حيث تجد للفهم أنواع منها:

**النوع الأول:** الفهم القائم على التعرف على الأسباب؛ وفي هذا النوع يمكن القول أن الفهم فهما سببيا ملائما لتفسير سلسلة الأحداث في مواقف متعددة، حيث يفترض أن تتابع الأحداث المرتبطة ارتباطا سببيا مناسبيا يحدث بطريقة مرتبة يدعونا إلى المقارنة بين العوامل والظروف المعاصرة والمتشابهة والتي قد تختلف مع متغيراتها بالنسبة للعامل الذي سعى إلى التعرف على أهمية دوره في أحداث الظاهرة موضع الدراسة (كاترين كوايو، 1994: ص87).

ومنه يرفض فيبر الاعتماد على التفسير السببي فقط للحوادث التاريخية على أساس الفهم المادي للتاريخ، فهو يصفه بالدغماتية وعدم الجدوى ويرى بضرورة عدم الاكتفاء بتفسير الحادثة التاريخية بالأسباب الاقتصادية وإهمال العوامل الأخرى. إذ أعطى للاقتصاد أهمية في تفسير بعض الوقائع التاريخية على أساس تفاعله مع غيره من العوامل التي لا تفهم إلا على أساس ارتباطها بالعلاقات الاجتماعية. ومنهج التفسير السببي عند فيبر هو منهج استعارته العلوم الاجتماعية من العلوم الطبيعية لإضفاء طابع العلمية على أبحاثها وهو يقول "إن البحث المتفهم للدوافع النهائية للسلوك البشري قد يكون مقدمة لتفسير سببي مناسب للأحداث التاريخية". (معن خليل عمر ، 1991: ص121)

وفي سياق ذي صلة يرى فيبر كذلك أن الرأسمالية تستهدف الربح الخاص القائم على أساس الاستثمار تجاريا في النظام الرأسمالي، الذي تطور ونجح في مختلف الأمكنة والأزمنة، غير أن الرأسمالية الحديثة تتميز عن الرأسمالية العامة في تنظيمها العقلاني الحر (عبد المنعم حنفي، د.ت: ص1052).

إذ يذهب ماكس فيبر إلى أنّ الرأسمالية الناجحة قد قامت وتأثرت بظهور الأخلاق البروتستانتية وخاصة الخلق الكاليفيني الذي يبين أنّ المناطق الألمانية التي ساد فيها البروتستانت كانت أكثر ثروة وغنى من المناطق التي ساد في الكاثوليك، حيث يؤكد لنا أنّ هناك علاقة وطيدة بين الرأسمالية والبروتستانت لأنّ الرأسمالية الحديثة لا تبنى على الاكتساب فقط، (Max weeber, 1994,p183) وإنما هي عبارة عن فعاليات عقلانية تؤكد التنظيم والانضباط، وتسعى إلى تحقيق النجاح في ذاته. فالأخلاقيات البروتستانتية المسيحية تؤكد أن الإنسان الناجح في الحياة الدنيا سيكون من الناجحين في الحياة الآخرة لأنّ النجاة في الدنيا دليل للنجاة في الآخرة، وعلى الفرد أن ينظم حياته وأن يتحلى بالأخلاق خلال ممارساته لفعالياته اليومية وهو بهذا المعنى يعطي قداسه للمذهب البروتستنتي.

**النوع الثاني:** الفهم القائم على مستوى المعنى والفعل الإنساني: إذ يذهب ماكس فيبر إلى أن هناك ميزة تنفرد بها العلوم الاجتماعية أو الثقافية عن العلوم الطبيعية كون طبيعة العلوم الثقافية ترمي إلى تفسير القيم على عكس العلوم الطبيعية التي تحكمها قوانين، فتختار بصفة مطلقة المعطى المحسوس، والظواهر القابلة للتكرار وبناء القوانين. في حين تختار العلوم الثقافية حوادث إنسانية تتعلق بالقيم، الحاضر والتاريخ (Max weeber, 1959 : p11)

وفهمنا في العلوم الاجتماعية يقوم على أساس التعرف المباشر على طبيعة وبناء الأفعال الإنسانية، وتفهم غاياتهم ودوافعهم. فغرض العلوم الاجتماعية الفهمية هو النشاط الاجتماعي، لكن في المقابل في العلوم الطبيعية لا يمكنها تفهم حركة الذرات؛ غير أنه يمكنها التعرف على الوحدات المتجانسة في هذه الحركات فتعرف بذلك الظواهر الطبيعية من مظاهرها الخارجية فقط، في حين معرفة الظواهر الاجتماعية يكون من الداخل والخارج معاً؛ أي بالفهم والتفسير معاً. إذ معرفة الحقائق التي تحدث في الظواهر الاجتماعية مختلفة عن معرفة حقائق الظواهر الطبيعية. لأنّ منظومة العلوم الاجتماعية هنا أقل استقلالية من منظومة العلوم الطبيعية، ورغم ذلك فهي واقعية، فمثلاً عند الوقوف على أسباب سقوط الحكومات أو العوامل التي تتدخل في



تحديد الأسعار، أو أسباب حدوث أحزاب؛ لذا فإن معرفتنا هنا تختلف عن معرفة أسباب سقوط الشهب أو دوران القمر حول الأرض؛ لأن أسباب الظواهر الاجتماعية يمكن إرجاعها ولو بدرجات متفاوتة إلى معرفة ما يدور بالداخل أو يخضع لتفسير داخلي (باطني)، وهو معنى ذاتي جواني يربط بين الفاعل وعمله كعنصر مكون لهذا النشاط الذي لا يمكن فهمه مستقلا عن المعنى ولا عن ما ينتج من آثار ونتائج عن الفعل. من هنا فتأكيد فيبر على المعنى يدل دلالة واضحة على تأكيده على الناحية الذاتية غير الموضوعية للفعل الإنساني؛ الفعل الإنساني عنده هو شكل من أشكال السلوك المزوج الذي يتضمن المعنى الذي يحمله الفاعل والأسباب والدوافع التي تحمله على القيام بهذا السلوك وفق أنماط ونماذج اجتماعية.

**النوع الثالث:** الفهم وعلاقة السبب بالمعنى؛ في هذا النوع يرى فيبر أن هناك علاقة قائمة بين الفهم القائم على الأسباب والفهم القائم على المعنى، لأن تفسير أي فعل من أفعال الإنسانية لا بد من أن نفهمه على أساس معناه، وعلى أساس أسبابه، وفقدان إحداهما يفقدنا الفهم الحقيقي للفعل مهما كانت كفاءة المعلومات الإحصائية التي استعملناها في بحثنا. لكن هذا لا يعني أن نجمع بينهما لأننا عندما تقدم فهم أو تفسير اجتماعي للظواهر أو للأفعال؛ كثيرا ما يحدث أن يأتي الأفراد بتصرفات أو سلوك لا يعرفون معناها، ولا مضامينها، إذ قد يأتي الفرد بالأفعال دون أن يدري ما تنطوي عليه هذه الأفعال من خواص ( هنري سندر، د-ت: صص 246، 245 ).

**-الأنماط المثالية:** النمط المثالي هو طريقة تستعمل لدراسة الفعل الاجتماعي، وهو عبارة عن تصور ذهني لصفات وخصائص الأشياء أو الظواهر التي تكون موضع الدراسة في الحياة الواقعية، أي أن الشكل المتضمن عقليا قد لا نجد له مثيلا في الواقع فالظواهر التي بنيانها في مخيلتنا قد لا يوجد لها نظير فعلي في الحياة العينية ( أحمد الخشاب ، 1970:ص 566 ).

فالنمط المثالي عبارة عن آلة أو أداة من أدوات البحث والتحليل يُستخدم لتحليل ظواهر معينة بالذات، وحوادث تاريخية وقعت بالفعل. ولاستعماله كأداة للتحليل يتطلب تحديد عناصر التفاهم المكونة

والمؤلفة للنموذج، ومتى تم ذلك أمكننا مقارنة هذا للنمط بالظواهر الاجتماعية الواقعة فعلا (خليل عبد السميع ، 2001:ص12) التي تريد منا تحليلا وتفسيرا.

من جهة أخرى يمكن القول أنّ النمط المثالي مفهوم صوري مجرد، يتجسد في مقولة وصفية عامة تساعدنا على فهم وتفسير مجموعة من الظواهر والتنظير لها، وليس من الضروري أن تكون مميزات هذا النمط موجودة دائما في الظواهر المدركة. على هذا النحو يهدف النمط المثالي إلى تشكيل نمط للظاهرة الاجتماعية أو منظور هادف لها. فهو دليل لصياغة الفرضيات، ونموذج لفهم الظواهر المدركة في الواقع، وللتعبير عن الفكر المنظم. بمعنى أن النمط المثالي ينتج عن عملية تركيب مجموعة من الخصائص والمواصفات لظاهرة اجتماعية ما، مجردة وعامة، وتصنيفها في نموذج ذهني صوري متسق. فمثلا عند دراسة ظاهرة البيروقراطية، ندرس في ميادين متعددة، وفي أمكنة مختلفة، إلا أنّ الحديث عنها يكون بصفة عامة، بالتركيز على خصائصها ومميزاتها كأفكار وتصورات عامة مجردة ومشاركة في عمومها، لصياغتها في نموذج مفهومي ووصفي ما. فضلا عن ذلك فإنّ النمط المثالي هو نتيجة لمجموعة من المقارنات والإجراءات الوصفية لظاهرة اجتماعية ما. وبالتالي فالمثالي لا صلة له بالقيمة، بل يرتبط بمنظومة من الخصائص والأوصاف والمميزات المشتركة الناتجة عن ملاحظة ظاهرة ما؛ أي أنّ النمط المثالي تجريد أو تحويل الظاهرة الاجتماعية المدركة إلى نموذج عقلي مجرد في شكل مميزات وعناصر وسمات مشتركة مجردة وعامة من خلال الانتقال من العيني المحسوس إلى التصور المجرد المثالي.

إذا فالنماذج السلوكية العقلية واللاعقلية، والقيمية العقلية، والتصرفات العاطفية، تعتبر " نماذج أو أفكار عقلية مثالية: هي مثالية لأنها ليست صادرة من الحياة الاجتماعية الواقعية، وهذا لا يعنى أنها صادرة عن ماهيات مجردة كمثّل أفلاطون مثلا. إنما هي: نماذج مثالية لكونها مشتقة أساسا من الحقيقة التاريخية، تلك الحقيقة المعقدة جدا، والتي تُعتبر هذه التصنيفات السلوكية مجرد تبسيط لها. ومن هنا، يدرس علم الاجتماع عند فيبر تلك الأنماط الاجتماعية

المثالية التي تحدد طبيعة تصورات الإنسان وإدراكاته ومواقفه السلوكية في المجتمع. وإذا كانت هذه الأنماط كامنة حقا في بنيات المجتمع، فهي بمثابة أنماط قياسية تحدد السلوك، وتوجه العقل. وعلى رأس هذه الأنماط المحددة للسلوك الموجهة للفعل، توجد القيم الأخلاقية والدينية، ثم العرف والعادات والقانون، بالإضافة إلى أنماط أخرى ذات طبيعة سيكولوجية كالحب والكراهية والحق... ومهما كان الأمر، وسواء كان العنصر الموجه للسلوك هو هذا النمط أو ذاك، فإن الفعل الاجتماعي الحقيقي عند فيبر هو السلوك الهادف المرتبط بغاية معينة. أما السلوك الذي لا هدف له، فهو سلوك لا عقلي، سلوك آلي لا قيمة له من الناحية التاريخية". (محمد عابد الجابري، 1971م:

ص:346)

إذ اعتبر فيبر أن النموذج المثالي يقوم بوظيفة تفسيرية عندما نقرنه بالظاهرة أو الحادثة الواقعة فعلا، ويعتبر النموذج المثالي مقياس افتراضي لفعل من الأفعال، أو لعملية من العمليات، أو لنموذج بناء اجتماعي، ويستعمل الباحث هذا النموذج كأساس يقارن به الحالات الواقعة. فيقول الباحث مثلا بأنّ هذا هو الشيء المتوقع حدوثه، أو أنّ هذا النوع من السلوك يمكن أن يقع من هذه الطائفة، أو من هذه القبيلة، أو من هذه النقابة طبقا لما هو في معرض دراسته؛ وعلى هذا الأساس سيلاحظ الباحث أن هناك فروقا بين ما رسمه في النموذج المثالي وبين ما هو واقع فعلا. (أحمد الخشاب، 1970:ص568)

إذا هذه النماذج هي مجرد تصورات ذهنية لم تُستمد من الواقع، بل هي: تقسيمات عقلية مجردة يتصورها الباحث ويبني عليها دراسته فيصف كل نمط ويعطيه أبعاده وصلته بالأنماط الأخرى، ومن الأنماط الشهيرة عنده: الموهبة، الاقتصاد، التقليد، الطائفة الدينية، الكنيسة، والبيروقراطية، والبروتستانتية، والمادية التاريخية، الأخلاق الاقتصادية عند البروتستانت، المدن اليونانية... الخ.

كل نظام اجتماعي يسعى فيبر إلى تقسيمه إلى عناصر أو أنماط عقلية ويحاول تحديد تلك الأنماط كما يتصورها عقليا، ويحاول أن يكتشف ما بينها من روابط (إبراهيم مذكور، 1975:ص126) يشير

ريمون آرون أن ماكس فيبر يعطي النماذج المثالية ثلاث أنواع من التصورات :

**أولها:** تلك الخاصة بالأفراد التاريخيين كالرأسمالية أو المدنية الغربية، وفي هذه الحالة النموذج المثالي هو البناء المعقول للواقع التاريخي الشامل والخاص؛ الشامل عندما نطلق على مجموع نظام اقتصادي عام مصطلح الرأسمالية، والخاص عندما نحقق معنى الرأسمالية ونعرفه جزئياً في المجتمعات الغربية الحديثة. ولذلك فالنموذج المثالي لفرد تاريخي يبقى بناء جزئي. وعالم الاجتماع هنا يختار من المجموع التاريخي بعض العلامات من أجل تأسيس كلي معقول، والبناء يكون بين احتمالات لا يدخل فيها الواقع ضمن الصورة الذهنية لعالم الاجتماع (Raymond aron 1994 : p643).

**وثانيهما:** تلك الخاصة بالفئات المثلى التي تعبر عن عناصر مجردة من الواقع التاريخي الموجودة في ظروف مختلفة، هذه التصورات تسمح بتمييز وفهم المجموعات التاريخية الواقعية عندما تكون منتظمة. فالتعارض بين هذين النوعين من الفئات المثلى يظهر بوضوح عندما نأخذ مثال من النوع الأول الرأسمالية ومثال من النوع الثاني البيروقراطية (Raymond aron , 1994 : p644).

في الحالة الأولى نميز مجموع تاريخي واقعي وفردية، وفي الثانية نعرف جانب من المؤسسات السياسية التي لا تغطي نظاماً بأكمله في عديد من المرات وفي لحظات مختلفة من التاريخ. هذه الفئات المثلى للعناصر المميزة للمجتمع تنشأ في مستويات مختلفة من التجريد، في مستوى أقل من التجريد تظهر تصورات مثل البيروقراطية أو الإقطاعية، وفي المستوى العالي من التجريد، يظهر تصور النماذج الثلاث من الحكم (العقلاني، التقليدي، الكارزماني) كل واحد من هذه الأنواع نعرفها بمبررات الطاعة، أو بطبيعة الشرعية التي يطمح إليها كل قائد في حكمه. في الحكم العقلاني تكون بقوانين أو بحكم السيطرة بالقواعد، الحكم التقليدي بالمرجعية التاريخية أو بالعادات، والحكم الكارزماتي بفضيلة القائد الاستثنائية، أو مواصفاته غير العادية التي يعتقد الأفراد والتابعين له أنها موجودة فيه. هذه الفئات الثلاث

للحكم أمثلة عن التصور الذي يمكن أن نسميه ' ذري ' كواحدات بفضلها نعيد بناء وفهم الأنظمة السياسية الواقعية؛ فأغلب هذه النظم تحتوي على عناصر تنتج عن هذه النماذج الثلاث للحكم Raymond (aron ,1994 : p644).

في الواقع لا يوجد نظام يكون كارزماتي خالص أو تقليدي خالص، وعليه ينبغي تحديد المفاهيم بشكل فاصل حتى نتمكن من الفصل بين هذين النموذجين. لذلك فالنماذج المثلى ليست هي نهاية البحث العلمي ولكنها مجرد وسيلة لقياس الفاصل بين تصوراتنا والواقع. فهي محاولة لاحتواء تصورات متنوعة حتى نحدد الواقع المعقد

إذاً فوظيفة النماذج المثلى لا تتعدى أداة تجريدية يستعملها الباحث لغرض تحليل في مستوى أرفع أنماط الفعل المتمثلة في الفعل العقلاني بالنظر إلى القيم، والفعل التقليدي والانفعالي.

### أنماط الأفعال الاجتماعية:

الفعل الإنساني عند ماكس فيبر يقوم على العلاقة بين الفهم والتفسير القائم على الأسباب وبين الفهم والتفسير القائم على المعنى؛ فلكي نفسر فعل ما إنساني لابد لنا أولاً فهمة على أساس معناه الداخلي والخارجي، وعلى أساس الأسباب. "يكون الفعل الإنساني فعلا اجتماعيا عندما يؤثر معنى الفعل الذي قام به الفاعل أو الفاعلون على سلوك الأخر". (قباري محمد إسماعيل، 1979:ص366)

والفعل الاجتماعي هنا وحدة اجتماعية للبناء الاجتماعي. فماكس فيبر قدم نظرية في العلوم الاجتماعية مفادها أنّ سلوك الإنسان يكون له معنى ذاتي. وفي رأيه أنه لكي نفهم سلوك الآخرين يجب أن لا نكتفي بما يفعلونه، بل لا بد من ملاحظة المعاني الحقيقية المتصلة بما يفعلونه؛ فالفعل الاجتماعي تابع للدراسات الاجتماعية التي تقوم بتحليله في إطار اجتماعي. والحق أنّ ماكس فيبر يرى أنّ الفعل الاجتماعي هو موضوع أساسي للعلوم الاجتماعية، واقترح نسقا خاصا ودقيقا في تصنيف الأفعال الاجتماعية. إلا أنه لم يقدم أي تفسير

لهذا التصنيف لكنه عمل على التمييز بين أنماط الأفعال الاجتماعية التالية:

### الفعل العقلاني بالنظر إلى الهدف :

يرتبط هذا الفعل بالتخطيط والترشيد العقلاني والتدبير الجيد. أي: يخطط قبل التنفيذ، ويقارن بين الوسائل المتاحة قبل العمل للوصول إلى أهدافه المرجوة، ويحلل النتائج المتوقعة الناتجة عن هذا الفعل المرتقب. مثل: الإستراتيجية العسكرية أو الاقتصادية أو الإدارية. هذا الفعل يشبه بالتقريب عمل المهندس الذي يبني جسرا أو المضارب المجبر على ربح المال، أو الجنرال الذي يريد تحقيق النصر في كل الحالات، فالفاعل هنا يتصور بوضوح الهدف؛ فيتصرف بالوسائل التي بين يديه غير أن فيبر "لم يصرح بوضوح...بالفعل الذي يختاره الممثل ويختار فيه وسائل غير عقلانية، فاللاعقلانية بالنظر إلى الهدف معرفة بالنظر إلى معارف الفاعل أكثر منها إلى الفاعل الفاهم وهذا ما يراه باريتو" (Rymond Aron, 1994: p 624).

### الفعل العقلاني بالنظر إلى القيمة:

هو فعل يتجه صوب القيم، وله درجة عالية من الوعي، ويرتبط بهدف ما ضمن نظام القيم، مثل: ربان السفينة الذي يغرق مع سفينته حين استحالة إنقاذها؛ أي فعل التضحية. فالفعل العقلاني لا يميل إلى حصول على هدف نهائي و خارجي ولا يوحى بتحديد معنى أنّ الفاعل يجب أن يتصرف بكل عقلانية في كل المخاطر ليس لأجل الحصول على نتيجة خارجية ولكن لأجل البقاء وهذه الخاصية هي التي تجعله شريفا. "وهنا يمكن اعتبار الأهداف التي يسعى الفاعل الاجتماعي لتحقيقها هي القيم المطلقة، يكون الممثل فيها مدفوعا بوعي فيختار الوسائل التي يحقق إيمانه بتلك القيم التي قد تكون قيما دينية أو أخلاقية أو جمالية". (قباري محمد إسماعيل ، 1979:ص366)

**الفعل الانفعالي:** هو ذلك الفعل الذي توجهه العواطف. وبالتالي، فهو فعل غير عقلاني. مثل: عقاب الأم لابنها بطريقة عاطفية وانفعالية يرى فيبر أنّ هذا السلوك أو الفعل يصدر من عواطف ومشاعر خاصة يعيشها الفاعل الاجتماعي، وهنا السيطرة العاطفية هي التي تتحكم في الفعل الاجتماعي، في حالة مباشرة للوعي ومزاج

الفاعل فالفاعل هنا لا يكون بالرجوع إلى هدف أو غاية، ولكن بالنظر إلى رد فعل انفعالي للفاعل في ظروف معينة. وعلى هذا الأساس يعتبر الفعل الاجتماعي عند جمهور علماء الاجتماع فعلا ليس قيميا، لأنّ العواطف قد تكون مذمومة وقد تكون محمودة، كما أنها قد تكون عاقلة وقد تكون خاضعة للعاطفة؛ لأنه من أبرز سمات الفعل الاجتماعي- كما حدده فيبر- ينطبق أو لا على الحال والمزاجية للفاعل الاجتماعي، ولا يمكن أن يتشابه مع مواقف غيره من الفاعلين الاجتماعيين. (عبد الله العروي، 1999، صص-78. 79)

**الفعل التقليدي:** ينبني هذا الفعل على العادات والقيم والأعراف والتقاليد، فالأنشطة اليومية، مثل: الأكل بشوكة أو المصافحة بالأيدي تتأتى من الفعل التقليدي. فهو ذلك الفعل الذي نكتسبه من خلال عادات وتقاليد واعتقادات تصبح كأنها طبيعة ثانية، والفاعل من أجل التحرك وفق هذا النوع لا يحتاج إلى تمثيل هدف، ولا إلى تصور قيمة، ولا التحرك بالانفعال؛ إنه يطبع بكل بساطة قوانين متجذرة عن طريق تطبيقات طويلة وخبرات عميقة وممارسات طويلة في المجتمع (Raymond Aron, 1994: p 624) أي أنّ الفاعلين الاجتماعيين قد يؤتون أنواع من السلوك بحكم العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة في جماعتهم المحلية دون أن يكون لإرادتهم الذاتية الاختيار المطلق في مثل تلك الأفعال، والهدف من وراء ذلك هو المحافظة على التقاليد والعادات نظرا لما يتبعه من حفظ توازن اجتماعي للجماعة أو للمجتمع ككل.

يمكن القول هنا أنه لدراسة الفعل الاجتماعي بمختلف أنماطه يجب علينا إتباع المنهج الفهمي القائم على المعنى والسبب معا وهذه الدراسة تكون في إطار النماذج المثالية التي حددها لنا ماكس فيبر والمتجسدة في مختلف السلطات التي قامت عبر التاريخ.

### نتائج الدراسة :

1-إن المنهج في مجال العلوم الاجتماعية يتطلب معايير خاصة تفرضها طبيعة الظواهر الاجتماعية، خاصة من جهة التنظير الاستيمولوجي العام لقواعده وخطواته الأساسية، لذلك تبقى العلوم الاجتماعية الآن ضرورة تفرض نفسها كمعرفة تزداد يوما بعد يوم

لكن تبقى الجوانب الروحية من المكونات الأساسية للظاهرة الاجتماعية.

2- تأسس منهج العلوم الاجتماعية عند ماكس فيبر منذ البداية على ضرورة البحث والتقيب في موضوع محدد هو الإنسان بوصفه كائن اجتماعي أو كذات اجتماعية في علاقتها مع الآخر والعالم.

3- إن الجمع بين منهجي الفهم والتفسير هو محاولة جريئة لتجاوز التعارض المنهجي في العلوم الاجتماعية؛ ما يعني كلية وشمولية المنهجية وعدم اقتصارها على الأحادية المنهجية، وفي هذا يقترب موقف فيبر من موقف بول فايرابند الذي عبر عنه في كتابه ( ضد المنهج) حين أكد على ضرورة التعددية المنهجية في كل العلوم، وهذا ما يؤكد خصوبة العلوم الاجتماعية وراثتها المعرفي والمنهجي.

4- التأكيد على دراسة الأفعال الاجتماعية دراسة تاريخية تقوم على فهم السلوك الإنساني بتحليله وتفسيره من الداخل والخارج، ولا تقوم فقط على المنهج العلمي للعلوم الطبيعية الذي يفسر الظواهر من الخارج فقط.

5- التأكيد أيضا على ضرورة استخدام النماذج المثالية كأدوات تحليل ظواهر معينة بالذات ، وتحليل حوادث تاريخية واقعية والتي تتطلب تحديد مكونات النموذج إذ يمكن الاستعانة بالأنماط المثالية الثلاثة في المقارنة بين الظروف والأوضاع الاجتماعية التي عاشها الناس خلال مراحل تاريخية معينة

**خاتمة:**

يبدو أن المنهج في مجال العلوم الاجتماعية يتطلب معايير خاصة تفرضها طبيعة الظواهر الاجتماعية، خاصة من جهة التنظير الاستيمولوجي العام لقواعده وخطواته الأساسية، لذلك تبقى العلوم الاجتماعية الآن ضرورة تفرض نفسها كمعرفة تزداد يوما بعد يوم لكن تبقى الجوانب الروحية من المكونات الأساسية للظاهرة الاجتماعية. وهذا ما رامت إلى مراعاته محاولتي كل من ماكس فيبر وكارل بوبر. ففي مشكلة المنهج العلمي الخاص بالعلوم الاجتماعية يتناغم موقف فيبر مع موقف بوبر في نقطة جوهرية وهي عدم صلاحية منهج العلوم الطبيعية للظواهر الاجتماعية؛ لأنه ليس المعيار



الوحيد لتحديد صفة العلمية، ومن جهة أخرى لاختلاف طبيعة الموضوع بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية. يعمل فيبر على التوفيق بين منهجي الفهم والتفسير في دراسة الظواهر الاجتماعية.

### تعليقات:

- 1- أوغيست كونت عالم اجتماع و فيلسوف اجتماعي فرنسي (1798-1857).
- 2- فيلهلم دلتاي، فيلسوف وطبيب نفسي وعالم اجتماع ألماني (1911/1833).

### قائمة المصادر والمراجع :

- 1- إبراهيم مذكور، (1975). معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط).
- 2- إسماعيل علي سعد، (1999). علم الاجتماع السياسي السياسة بين والاجتماع، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1.
- 3- الخشاب أحمد، (1970). التفكير الاجتماعي، الإسكندرية: دار المعارف.
- 4- إميل دوركايم، ترجمة، محمود قاسم، (1988). قواعد المنهج في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- 5- العروي عبد الله، (1999). مفهوم الإيديولوجيا، ط2. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- 6- خليل عبد السميع، (2001). علم الاجتماع ، مفهومات وموضوعات ودراسات، مؤسسة شباب الجامعة للنشاط، مصر (د.ط)
- 7- ديفينيو جان، ت: فاروق الحميد، (2011). مدخل إلى علم الاجتماع، ط1، دمشق: دار الفرق.
- 8- عادل مصطفى، (2007). فهم الفهم مدخل إلى الهيرومينوطيقا، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 9- عبد الله إبراهيم، (2010). علم الاجتماع (السوسيولوجيا)، ط3. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- 10- عبد المنعم حنفي، (د.ت). موسوعة الفلسفة و الفلاسفة، ج2، مكتبة مذبولي، مصر.
- 11- علي سالم، قراءة في نظرية المعرفة عند ماكس فيبر، (1968). الفكر العربي المعاصر بين المعرفة و السلطة، مجلة العلوم الإنسانية و الحضارية مركز الإنماء القومي، بيروت عدد 41.
- 12- عن خليل عمر ، (1991). نقض الفكر الاجتماعي المعاصر دراسة تحليلية ونقدية، دار الأفاق الجديدة، ط2 مصر .
- 13- غدامير، ترجمة محمد شوقي الزين (2006). فلسفة التأويل ،الأصول، الأهداف، المبادئ ، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2.

- 14- فوال صلاح مصطفى، (1996). علم الاجتماع في عالم متغير، ط1. القاهرة: دار الفكر العربي للنشر والتوزيع.
- 15- قباري محمد إسماعيل، (د-ت) قضايا علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 16- قباري محمد إسماعيل، (1979). قضايا علم الاجتماع المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- 17- كاترين كوليو تياين، ترجمة جورج كتورة، (1994). ماكس فايبير و التاريخ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2 ببيروت.
- 18- ماكس فيبر: ترجمة محمد علي مقلد د-ت الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، مركز الإنماء القومي، بيروت، دط.
- 19- محمد عابد الجابري وأخران، (1971). دروس الفلسفة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب.
- 20- محمد علي محمد، (1983). علم الاجتماع والمنهج العلمي، القاهرة: دار المعرفة بالإسكندرية.
- 21- ه.ب. ريكمان، ت: علي عبد المعطي محمد، (1979). منهج جديد للدراسات الإنسانية، بيروت: مكتبة مكابي.
- 22- هنري سندر س، ترجمة: ملحم حسن (د-ت). مبادئ علم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية حيدرة الجزائر.
- 23- يورغن هابرماس، ترجمة: حسين الأصقر، (2001). المعرفة والمصلحة، منشورات الجمل، كولونيا، ط1.
- 24- ود عوده، (1982). تاريخ علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- 25- Catherine Colliot -Thélène: la sociologie de Max Weber, La découverte, 2014.
- 26-Dilthey Whelheilm.(1947).Le monde se l'esprit ;t1, Aubier- Montaign.
- 27-Dilthey Whelheilm.(1992).Critique la raison historique, introduction à l'étude aux science de l'esprit, traduction, Sylvie mesure ,Paris : édition du cerf.
- 28-E. Durkheim:Les règles de la méthode sociologique, éd Flammarion, 1988.
- 29-Freud S., Introduction à la psychanalyse, Paris, Payot, 1974
- 30-Jules Monnrot.(s-d).Les faits sociaux ne sont pas des choses, Paris :Gallimard.
- 31-Nuttin J., La structure de la personnalité, Paris PUF, 1980.

32-Raymond Aron.(s-d )les étapes de la pensée sociologique,  
2 édition, Tunis:éditions Gallimard,1994.

---

### للإحالة على هذا المقال:

- إبراهيم كراش، هشام قاضي (2019)، «طبيعة المنهج في العلوم الاجتماعية عند ماكس فيبر» المواقف، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص.ص 288-314.